المرأة وذرائع الاسترقاق في السياسات الغربية

تحليل خطاب الاستشراق في مؤسسة "راند" الأمريكية

د. عبدالله بن محمد المديفر

إعداد وتقديم: عصماء الدخري

صدر عام 2013م، 1436هـ

تاريخ النشر: 23 / 02 / 2022م

«حقوق المرأة» و «تحرير المرأة» قد تكون من أهم الأسباب المعلنة لتبرير التدخل الغربي في الشؤون الداخلية لدول العالم. ويمكن للمرأة أن تؤثر في اختيار نوع الحكومة وتتويجها، وتؤثر في تغيير الدساتير والأنظمة والتشريعات، وفي إنجاح سياسات تحديد النسل أو فشلها، وفي قيامها بمهمة البديل للأحزاب المعارضة في الدول التى تمنع تكوين الأحزاب السياسية، إلى غير ذلك من مجالات التأثير، التي تبين أهمية المرأة في مجال السياسات، وهذا الكتاب يُعرّي هذة الحقائق.

يتناول هذا الكتاب القضية المعنونة في ثمانية مباحث:

الأول حقوق المرأة:

ترى مؤسسة «راند» أن الاهتمام بحقوق المرأة في العالم الإسلامي ينبغي أن يكون أحد أهم الأهداف الاستراتيجية الأمريكية على المدى الطويل ولذلك ترصد وتتابع واقع «حقوق المرأة» في العالم الإسلامي، ومدى تطورها، وبخاصة في التشريعات والأنظمة وما يجري فيها من تنقيح.

في المبحث الثاني يتناول الكتاب الشريعة الإسلامية وحقوق المرأة في نظر«راند»:

من عنوان المبحث نستنتج أن المقصود هو أثر المرأة في هدم الشريعة، و تدعو النساء المسلمات، والليبراليين

والعلمانيين للوقوف ضد أحكام الشريعة الإسلامية، وبذلك تجعل قضية حقوق المرأة ساحة صراع رئيسة في حرب الأفكار داخل العالم الإسلامي.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن أساليب المواجهة بين الغرب والإسلام صارت تقلل من استهداف الحكومات، وتركز على استهداف الشعوب، حين تجعل ميادين الصراع بين فئات الشعب، في صنع الغرب فئة موالية له، تقود الصراع ضد الإسلام وأهله وشريعته، وتحاول الوصول إلى مناصب القيادة، ومراكز التأثير والتغيير.

تشير مؤسسة راند إلى أن إلغاء بعض أحكام الشريعة الإسلامية وتغيرها قد تحقق بسبب زيادة مشاركة المرأة وتمثيلها السياسي؛ ولذلك تدعو النساء للمشاركة السياسية والقضائية، والتمثيل فيهما.

و ليس لديها في المطالبة بحقوق المرأة أي تفسير مقبول، سواء كان يعود على المرأة بالأمان والرفاه، أو على المجتمع بالرقي والتقدم.

ضعف التحليل العملي لدى مؤسسة البحوث في موضوع قضايا المرأة، كما اهملت تمامًا الموضوعية العلمية التي يقتضيها البحث العلمي، ولم يكن موقفها حيادياً كما تدعي في منهجية أبحاثها.

أما المبحث الثالث في الكتاب «عمل المرأة»:

تحرص فيه مؤسسة البحوث الأمريكية المنشأ على إقحام المرأة في مجالات الوظائف والأعمال، حتى وإن كان الإسلام يأباها كرئاسة الدولة والولايات العامة واختارت في قضايا المرأة الشُبه القديمة نفسها التي أثيرت في كل بلد يستهدف الغرب فيه المرأة المسلمة، فليس لديها _في الغالب_ دراسات علمية حديثة تستند إليها وتبرهن على صحة ما تذهب إليه، ولكنها تنطلق من أهداف مسبقة تسعى إلي تحقيقها، وتستند في تحقيقها _في الغالب_على الأساليب القديمة، ثم تضيف إليها ما يناسب تطورات العصر، ويكون جهد دراستها منصباً على رصد تحققها، ومعرفة العوائق، واقتراح الوسائل.

لا يهمها مع ذلك أن تكسب المرأة أجراً مجزياً، ولا أن يتلاءم العمل مع طبيعة المرأة النفسية والجسدية، ولكن المهم ما يحققه عملها للمصالح الغربية.

المبحث الرابع وهو العلاقة بين المرأة والديمقراطية:

فأبرز ما جاء فيه أن مؤسسة راند تُصر على أهمية المؤسسات الدولية في قيادة التغيير في العالم الإسلامي في شأن قضايا المرأة، من خلال دعمها للمؤسسات التطوعية وتعاونها معها معتبرة بذلك المرأة وحقوقها وسيلة إلى تحقيق الديمقراطية و تعد المرأة بديلاً عن الحركات الإجتماعية التي تهدف إلي تكوين أسس الديمقراطية.

المبحث الخامس إستمالة المرأة لتكون في صف الغرب:

في دراسة قديمة ل»راند» تناولت الإستعمار الغربي للجزائر، اعدها»ديفيد غالولا» وهو من الضباط الفرنسيين المستعمرين، يقول متحدثا عن نساء قرية في الجزائر وفي البحث عن الحلفاء المتوقعين بين السكان:»أعتقد أنه من الطبيعي ان تكون النساء إلى جانبنا إذا حررناهن من حالة الخضوع التي يعشنها. وكتبتُ تقريرًا إلى قيادة الجيش ذكرتُ فيه أن النساء الجزائريات هن أكثر الداعمين المتوقعين نفعاً.

وتارة يكسب الغرب موالاة النساء من خلال أحداث

شقاق بينهن وبين الرجال، كما يقول الضابط السابق:» أن أصغر إنشقاق يحدث بين السكان سيسهل كثيرًا من عملنا سواء أكان خط الإنشقاق حقيقيًا أو مصطنعًا، سواء أكان عرقيًا أم لغويًا أو دينيًا أو سياسيًا، ويمثل نوع الجنس والعمر خطوطًا للإنشقاق، فيمكننا أن نُميل الشباب ضد المسنين والعكس بالعكس، وكذلك نحو الرجال دون النساء (ويبدو ذلك واعدًا بأعتبار حالة الأستعباد التي تعيشها النساء الجزائريات)

وهو ما تسعى إليه مؤسسات الأبحاث من يومها وهو بحث نتائج الشقاق بين أبناء الأمة من مدخل نسائها.

المبحث السادس دعم المبادرات والمؤسسات الدولية:

تحاول راند أن تدفع بالمرأة للوقوف ضد الحكومة الإسلامية التي تحكم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أو تريد الحكم بهما يراد من المرأة في دراسات راند أن تسهم _عبر الطريقة الديمقراطية_ في إيصال الحكومات العلمانية والتحررية إلي سدة الحكم.

المبحث السابع الحجاب:

تراقب بعض دراسات راند انتشار الحجاب بين الشابات المسلمات في بعض البلدان الإسلامية، وتعده موشرا على مدى تطور التمسك بالإسلام، وترصد في الوقت نفسه بعض مظاهر تخلص المرأة المسلمة من الحجاب، وبعض الأسباب المعينة على التخلص منه، تنفي بعض دراسات راند كون حجاب المرأة المسلمة من الدين، وتعده من العادات والتقاليد، ويجعله أحد تقاريرها رمزاً سياسياً؛ لتهويل أمره، ولمحاولة منعه في الولايات المتحدة.

لا يمثل الحجاب حرية شخصية لدي بعض باحثيها وبعض الدول الأوربية، حتى وإن كانت المرأة تريد برغبتها الشخصية دون إكراه من أحد باجبارها عليه.

تولى كِبر الدعوة إلى محاربة الحجاب في دراسات راند:اليهودية د. شيريل بينارد.

المبحث الثامن تحديد النسل:

عنيت راند بدراسة النمو السكاني في البلدان الإسلامية ذات الكثافة السكانية، مثل مصر، وباكستان، وماليزيا استهدفت المرأة للقضاء على الكثافة المرأة - بصفتها عماد الأسرة- في قضية تحديد النسل، فأنيطت بها مسؤوليته، والهدف من تحديد النسل في دراسات راند:الوصول الي معدل طفلين فقط لكل زوجين في البلدان الإسلامية ذات الكثافة السكانية تشير راند الي أن من أهم العوامل التي أسهمت في تحديد النسل في مصر:انتشار وسائل تنظيم الأسرة، مثل:اللولب، وحبوب منع الحمل.

لذا تركز على نشر وسائل منع الحمل في البلدان المستهدفة، والتوسع في استخدامها و من كان يضطلع بمهمة تحديد النسل بعض الحكومات الغربية والمؤسسات الدولية، مع تأييد راند لذلك، الا انها تحاول ربط هذة المسؤولية بالدولة الإسلامية نفسها، دون انتظار دعم خارجي، إن دعاوي راند حول فوائد تحديد النسل جميعها دعاوي باطلة،ليس لها أساس علمي، ولا تقوم على أساس عادل، وإنها تهدف إلي تحقيق أهداف إستعمارية محضة، تستهدف حاضر المسلمين ومستقبلهم.